

# جابر بن حيان



## ١ - ماهيته التاريخية

لعل أبا عبد الله أو أبا موسى (١) جابر بن حيان بن عبد الله أشهر من يذكره تاريخ العلم في العصر العربي من العلماء. فإن اسمه يقترب من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران. ولقد قال فيه الاستاذ «برتيلو» المؤلف الفرنسي، وصاحب كتاب «تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى» ان اسمه ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق. فكان جابراً عند «برتيلو» أول من وضع لعلم الكيمياء قواعد علمية تقترب باسمه في تاريخ الدنيا ولقد عرف جابر بن حيان في العالم اللاتيني باسم «جيبير» Geber واشتهر بكتاب عرف في اللاتينية باسم Summa perfectionis ويقول البهائي «هوليامرد» بان هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب جابر المسمى «الخالص». على أن لجابر في العالم اللاتيني كثيراً من المؤلفات المنسوبة الى من يعرفونه «جيبير»، غير أن هذا الكتاب أشهرها وأعماها بين الناس انتشاراً. على أن الفرق بين جابر وبين من يعرف في العالم اللاتيني باسم «جيبير» قد ذهب ببعض المؤلفين في العصور الاخيرة الى القول بأنهم ما شخصان مختلفان. ولكن الاستاذ «هوليامرد» قد أثبت أن جابر بن حيان هو بعينه المعروف في العالم اللاتيني باسم «جيبير» وأن كل الكتب المنسوبة في اللاتينية الى الاسم الاخير هي تراجم أو اقتباسات عن مؤلفات العالم الفارسي أصلاً، العربي نسبة.

في القرن الثامن الميلادي «الثاني من الهجرة» غاش جابر بن حيان في بلاط الخليفة هرون الرشيد في بغداد. وكان على صلة حسنة بالبرامكة، والظاهر من سيرته

(١) يقول بعض المؤرخين أن اسمه أبو عبد الله وآخرون يقولون انه ابو موسى، واذا صحت الروايتان دلتا على أنه كان لجابر ولدان يدعي أحدهما عبد الله والآخر موسى

أنه كان أشد تعلقاً بهم منه بخليفة المسلمين (١) لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأننا كبيراً ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم ويدرسونه درساً عميقاً . ولقد ذكر جابر في كتابه « الخواص » كثيراً من المحاورات التي وقعت بينه وبينهم في معضلات هذا العلم . ويقول القفطي في ترجمة جابر في كتابه « تاريخ الحكماء » (٢) انه برز في فروع العلوم الدائمة في عهده ولا سيما علم الكيمياء . والظاهر أنه كان له نصيب من الاشتغال بعلم الطب وطرق العلاج ، لانه ذن من الشائع في ذلك العهد أن يقترن العلم بالكيمياء بالعمل في صناعة الطب .

كل هذه الاشياء تحوط اسم جابر بن حيان بكثير من الاسباب التي تدعو الى التأمل والنظر . أما ماهيته التاريخية فالحقق منها أشياء خمسة :

أولاً — ان اسمه جابر بن حيان (بن عبد الله) (٣)

ثانياً — انه كان فارسياً أصلاً ، عربياً نسبة ومنشأ

ثالثاً — انه عاصر الرشيد والبرامكة

رابعاً — أنه كان على صلة ما بجعفر الصادق

خامساً — انه أشهر من ألف في العربية في علم الكيمياء

\* \* \*

- (١) ولعل هذه الصلة راجعة الى عاطفة قومية أكثر منها علاقة علمية
- (٢) « جابر بن حيان الصوفي الكوفي ، كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً في صناعة كيمياء وله فيها تأليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع مشر من علوم الفلسفة ومقلداً لعلم المعروف بعلم الباطن . وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام . وذكر محمد بن سعيد سرقسطي المعروف بابن المشاط الاضطرابي الاندلسي أنه رأى لجابر بن حيان تأليفاً في مل الاضطراب يتضمن الف مسألة لا نظيره » . راجع تاريخ الحكماء ص ١١ طبع مصر
- (٣) ولعل عبد الله تسمية لغير معروف كالعادة المتبعة في صرف اسم (عبدالله) على الجد غير ليعرف في نسبة شخص ما

## ٢ - حياته ومولده

هو أبو عبد الله جابر بن حيان الكوفي (١) وقد يذكر بكنية أبي موسى . ولا يعرف بالضبط مكان ميلاده . ولكن كل الثقة من المؤرخين يكادون يجمعون على أنه ولد إما بطوس في خراسان ، في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، وإما في حران بالعراق على أن بعض الذين ترجموا عن حياته من المشتغلين بعلوم المشرق وتاريخه يرجحون أن طوس مسقط رأسه (٢) وكذلك يجمع كل الثقة على أنه قضى شطراً من حياته في مدينة الكوفة (٣) وكان صديقاً للبرامكة وزراء هرون الرشيد (٤) وأنه عاش ردحا من الزمان في بلاط بغداد . وقد ينسبه بعض الباحثين الى طرسوس ، كما فعل المستشرق واستنفلد Wastenfeld أو يذهب غيره الى أنه صابئ من حران ، كما فعل المستشرق « دريبلو » d'Herbelot في المؤلف المسمى « المكتبة الشرقية »

Bibliothèque orientale ص — ٣٦٠

ومن أغرب ما عثرت عليه من أقوال بعض الذين ترجموا عن حياة جابر من الأفرنج أن بعضهم نسبه الى اشبيلية من بلاد الأندلس (٥) وليس هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقع فيه الأوروبيون في ترجمة جابر . فقد ذكر في بعض التراجم أن جابراً — « أشهر علماء العرب وفلاسفتهم (٦) » — وفي موضع آخر أنه

(١) راجع ابن النديم في كتاب الفهرست

(٢) يقول الاستاذ هوليارد (Holmyard) « ان الراجح أن يكون جابر بن حيان قد ولد بطوس مسقط رأس الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور — راجع مجلة Science progress عدد شهر سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠ »

(٣) قال الاستاذ هوليارد — « يقال ان معمل جابر بن حيان الكيماوي قد عثر عليه وفي أثناء الحفر في انقاض منازل بالكوفة منذ قرنين من الزمان » — راجع مجلة Science progress عدد يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠ »

(٤) يستدل على ذلك بان أهدي اليهم كثيراً من كتبه المعروفة

(٥) يرجح كثيراً أن السبب في هذا الخطأ راجع الى تشابه في الاسم بين جابر بن حيان وجابر بن أفلح الاشبيلي الفلكي المعروف الذي عاش في القرن الحادى عشر الميلادى ( القرن الخامس الهجرى )

(٦) راجع ترجمة روسل Russell لمؤلفات جابر المطبوعة بالانجليزية في لندن سنة ١٦٧٨ حيث ذكر أنه The most Famous Arab Prince & Philosopher

« عربي » فجرد عن كل نعت (١) ثم تجد أنه ملك العرب (٢) وفي مخطوطة (٣) من المخطوطات نعت بأنه ملك العجم ، وفي مخطوطة نادرة كتبت قبل سنة ١٥٠٠ م يدعى بملك الهند (٤) وهذا يدل على أن الاوروبيين حتى عهد قريب لم يحقوا شخصية جابر حيان ، وأن كل عامهم بشخصه كان قاصراً على أنه « شرقي » وأن غالبهم كان يعتقد أنه « عربي » في حين أنه فارسي ، انتسب الى المدرسة الكيماوية العربية .

\* \* \*

يستدل من التواريخ المحققة أن البرامكة ظلوا متمعين بثقة هرون الرشيد سبعة عشر عاماً أي من سنة ٧٨٦ الى ٨٠٣ ميلادية ( ١٧٠ - ١٨٨ هـ ) فعلى هذا نستطيع أن نرجع بحياة جابر في عهد فتوته وشبابه الى تاريخ سابق على سنة ٧٦٥ م ( ١٤٨ هـ ) وهي السنة التي توفي فيها جعفر الصادق ، وأن عهد رجولته يقع في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادي الى ما بين ( ٧٧٥ - ٨٠٠ م - ١٥٩ - ١٨٤ هـ ) أما حجى خليفة في كتاب « كشف الظنون » فيقول بأنه توفي سنة ١٦٠ هـ اي ما بين سنتي ٧٧٦ و ٧٧٧ م . غير أن هذا القول ظاهر الخطأ ذا راعينا الاعتبارات السابقة وذ كرنا علاقة جابر بالبرامكة ، تلك العلاقة المحققة الوجود بكثير من المراجع التاريخية .

أما الجلد في (٥) فقد روى في كتابه « نهاية الطالب » كثيرا مما عانى كياويو العرب لدى أول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذ كر عن جابر

(١) راجع النسخة المطبوعة من مؤلفات جابر في نورمبرج Nuremberg سنة ١٥٤١ .  
(٢) في النسخة المطبوعة من مؤلفاته في دانزج Danzig سنة ١٨٤٢ . ومن الغريب أن تطبع هذه النسخة في أواسط القرن التاسع عشر ويدعى فيها جابر بأنه ملك العرب مع أن الاوروبيين كانوا قد جاسوا خلال الشرق وكل كتب التراجم العربية المشهورة لا تخلو منها كتاب من ترجمة الجابر

(٣) في مكتبة بودلي باكسفورد-Liber bracticus Geberis de inveatigatione perfectai Majistrii

(٤) Liber qin Flos maturarum iocant-1493 تطبع سنة ١٤٧٣ م

(٥) مؤلف و سمع الاطلاع على تاريخ كياويو العرب توفي سنة ١٣٦٠ م ٧٦٢ هـ

ابن حيان أنه نخلص من الموت مراراً عديدة ، كما أنه قاسى كثيراً من انتهاك  
الجهلاء لحرمة ومكانته ، وأنهم كانوا يحسدون عليه عامه وفضله ، وأنه اضطر الى  
الافضاء ببعض أسرار الصناعة (أى الكيمياء) الى هرون الرشيد والى يحيى  
البرمكي وابنيه الفضل وجمفر ، وان ذلك هو السبب فى غناهم وثروتهم . ولما  
ساورت الرشيد الشكوك فى البرامكة وعرف أن غرضهم نقل الخلافة الى العلويين  
مستعينين على ذلك بهالمهم وجاههم ، وقتلهم عن آخرهم ، اضطر جابر بن حيان أن  
يهرب الى الكوفة خوفاً على حياته (١) حيث ظل محتبئاً حتى أيام المأمون فظهر  
بعد احتجابه . وكل ما يهمنى فى هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم  
وحجى خليفة أنه توفى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ - ٧٧٧ م) ولكن اذا صححت رواية  
الجلدى فلا بد من ان يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ، لأن  
المأمون لم يرتق عرش الخلافة الا سنة ١٩٨ هـ ٧١٣ م . وهذه الروايات المتناقضة  
توسع مجالاً كبيراً للبحث والتأمل .

\*

\* \*

## (٣) مؤلفاته

كان جابر بن حيان من أكثر العلماء كتابة وتأليفاً . أما قائمة كتبه الاصلية  
التي كانت بين يدى ابن النديم صاحب الفهرست فقد فقدت . ولذلك تجد أن  
القائمة التي ذكرها فى الفهرست ناقصة لا يعتمد عليها كمرجع يصح أن يعتبر كاملاً .  
أما العلامة « فلوجل » Flugel الالماني فاعتمد عليها واتخذها مرجعاً تاماً ، وكان  
ذلك من أكبر الأخطاء التي اعتورت بحثه فى حياة جابر هو وتلاميذه الملتفتون  
من حوله ، الناحون فى البحث نحوه (٢) أما ترجمة « برتيو » (٣) لاسماء الكتب

(١) هذا هو السبب فى نسبته للكوفة عند بعض المؤرخين

(٢) و (٣) راجع الاستاذ هوليارد رئيس القسم العلمى فى الجمعية الطبية الملكية بانجلترا  
فى مقالاته عن جابر بن حيان .

التي أخذها عن الفهرست لابن النديم فأكثرها خير صحيح؟ وفي ذلك دلالة على أنه لم يستطع أن يدرك معنى الأسماء ادراكا تاماً، وأنه لم يحقق ما وقع فيها من التصحيف والخطأ النقلي.

أما إذا أردنا أن نذكر كل مؤلفات جابر التي تناقلت الألسن أسماءها منسوبة إليه، فإن ذلك يشغل فراغاً كبيراً ولكننا نذكر هنا أشهر كتبه المعروفة مقسمة إلى أربعة أقسام:

الأول — (أ) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والكتب التي يوجد منها طبعات معروفة أو مخطوطات محفوظة.

الثاني — (ب) كتبه المشهورة التي لم تعرف في العالم العربي الحديث وعرفت في أوروبا.

الثالث — (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي إما معروفة بالاسم فقط وأما موجودة بالفعل.

الرابع — (د) الكتب التي لم تعرف إلا عناوينها، ولقد أجمع أكثر من وقفنا على كتاباتهم في جابر على أن كتاب «السموم» من الكتب التي فقدت ولم يعرف منها إلا اسمها، ولكن الحقيقة على الضد من ذلك كما سنرى بعد.

\* \* \*

(أ) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والكتب التي يوجد منها طبعات معروفة أو مخطوطات محفوظة.

(١) كتاب اسطقس الأس الأول. نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢) كتاب اسطقس الأس الثاني. نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١.

(٣) كتاب اسطقس الأس الثالث. نقل بالزنكوغراف في الهند سنة

١٨٩١ ، ويظهر أن الجزء الثالث من هذا الكتاب هو المعروف عند صاحب الفهرست بكتاب الاسطقس .

(٤) كتاب تفسير الاسطقس . وهذا يضاف الى الكتب الثلاثة المتقدمة ولم يذكره صاحب الفهرست .

(٥) كتاب الواحد الاول . منه نسخة بالقسم العربي من المكتبة الاهلية (Bibliothèque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦ وارجح أنه هو يعينه الكتاب الذي ذكره صاحب الفهرست باسم كتاب الواحد الكبير .

(٦) كتاب الواحد الثاني . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح أنه المعروف عند ابن النديم باسم كتاب الواحد الصغير .

(٧) كتاب الركن . يرجح أنه هو يعينه كتاب الأركان . وقد أخذت مقطوعات منه في القسم السابع من كتاب « رتبة الحاكم » للمجريطى ،

ويقول هوليارد بأن كتاب رتبة الحاكم نسب خطأ الى الجريطى . وقد ذكر جابر نفسه كتابا له باسم كتاب الأركان الأربعة في كتابه ( ناز الحجر ) — أما

الجريطى فهو أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطى الذى عاش في مدينة مدريد في حكم الحكم الثانى ( ٩٦١ — ٩٧٦ م ) درس الفلسفة والرياضيات والفلك

والكيمياء في الشرق وكان على صلة باخوان الصفا ، ويظن أنه كتب بعض فصول من رسائلهم المعروفة ، بما في ذلك الفصل المكتوب في الكيمياء ، وقد

أكثر من ذكرهم في كتاب رتبة الحاكم .

(٨) كتاب البيان . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(٩) كتاب النور . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(١٠) كتاب الزئبق . طبع برتيلو المؤلف الفرنسى كتابين أحدهما باسم

كتاب الزئبق الشرقى والآخر باسم الزئبق الغربى ، ونقلهما من مكتبة ليون في القسم العربى مجموعة رقم ٤٤٠ ، ومنهما نسختان بالمكتبة الاهلية بباريس

بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١١) كتاب الشعر . منه نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة رقم

٧٧٢٢ نمرة ٥ .

(١٢) كتاب التبويب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة

رقم ٢٦٠٦ وذكرة الطفرائي ، راجع المجموعة رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطاني .

(١٣) كتاب الدرّة المكنونة . في المتحف البريطاني مخطوطة بهذا

العنوان ضمن مؤلفات جابر بن حيان بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ .

(١٤ و ١٥) كتاب الشمس وكتاب القمر . أى كتاب الذهب وكتاب

الفضة . يرجح أنه مختصر عن كتاب الاحجار السبعة . وقد ذكره الجلدق في

نهاية الطلب ، ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١٦) كتاب التراكيب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة

رقم ٢٦٠٦ ويرجح أنه الذى ذكر في الفهرست بانتم كتاب التركيب .

(١٧) كتاب الحيوان . يذكر الجلدق كتابا نسبة الى جابر بعنوان

كتاب حياة الحيوان .

(١٨) كتاب الاسرار . يرجح أنه كتاب « سر الاسرار » المحفوظة منه

نسخة بالمتحف البريطاني ( بالمجموعة رقم ٢٣٤١٨ نمرة ١٤ ) وأنه هو الذى ذكر

منه الطفرائي عدة مقطوعات في عدة مواضع ( راجع مجموعة المتحف البريطاني رقم

٨٢٢٩ ) وفي اللاتينية مخطوطة تنسب الى جابر عنوانها ( *Secreta secretorum* )

في كلية جوفنيل وكايوس Govnille & Caius college رقم ١٨١ وفي كلية كوريس

كرستى Corpus christi كبرج رقم ٩٩ .

(١٩) كتاب الارض . لجابر كتاب « أرض الاحجار » طبعه برتيللو

مأخوذا عن مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة

رقم ٢٦٠٦ .

- (٢٠) كتاب التركيب الثاني . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس  
بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .
- (٢١) كتاب الخواص . منه نسخة بالمتحف البريطاني رقم ٤٠٤١  
وبالمجموعة رقم ٢٣٤١٩ .
- (٢٢) كتاب التذكير . ترجم العلامة هولميارد اسم هذا الكتاب من  
الانجليزية *The book of rendering masculin* فهو أذن خاص بالبحث في  
عنصر الاتناج المعروف وليس يأخوذ عن مجرد التذكر الذهني . وفي المتحف  
البريطاني مخطوطة بهذا العنوان مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة ٧٧٢٢ رقم ١٢
- (٢٣) كتاب الاستتمام . ذكر الطغرائي بعض مقطوعات صغيرة من هذا  
الكتاب ( راجع محفوظات المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩ ) وكذلك ذكره  
الجلدي في كتابه نهاية الطلب . وهذا الكتاب يقابل اسم الكتاب المعروف  
في اللاتينية ومنسوب الى جابر بعنوان: *Liber da investigatione perfectioni*
- (٢٤) كتاب الاحجار . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة سنة ١٨٩١ .
- (٢٥) كتاب الروضة . ذكره الجلدي في الجزء الثامن من كتابه  
نهاية الطلب .
- (٢٦) كتاب المنافع . في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب  
منافع الاحجار .
- (٢٧) كتاب الايضاح . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .
- (٢٨) كتاب مصححات أفلاطون . منه نسخة بالقسطنطينية بمكتبة  
راغب باشا مجموعة ٩٦ رقم ٤
- (٢٩) كتاب الضمير . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة  
٢٦٠٦ وذكره الجلدي في الجزء الثاني من نهاية الطلب باسم كتاب الضمير  
في خواص الاكسير .

(٣٠) كتاب الموازين . طبعه برتيليو مأخوذاً عن نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة ٤٤٠ ويظن مستر هوليامد أن هذا الكتاب هو المعروف بعنوان : Liber de ponderibus artis المحفوظة منه نسخة في مكتبة الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ في فهرست المكتبة .

(٣١) كتاب الملك . ذكر صاحب الفهرست أن جابرا قد ذكر أنه ألف كتاباً باسم « كتب الملك » . وهذا يدل انصح ، على أن الكتاب المذكور كان يتكون من عدة كتب جمعت تحت عنوان واحد . ومما يؤيد هذا الزعم أن برتيليو طبع كتاب الملك عن نسخة بليدن رقم ٤٤٠ من المجموعة العربية ، في حين توجد نسخة أخرى مختلفة عما طبع برتيليو في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ وهاتان النسختان مختلفتان عن نسخة من كتاب الملك نقلت بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ ويرجح هوليامد أن هذا الكتاب نقل الى اللاتينية وذكره بوريليو Borellius راجع محفوظات الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ وذكره كاريني Carini أيضاً بعنوان Rivista sicula (٣٢) كتاب الرياض . منه نسخة بمكتبة بودلى رقم ٧٠ وأخرى بالمتحف البريطاني المجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥

\* \* \*

( ب ) كتب ذات خطر لم تعرف في العالم العربي الحديث  
(٣٣) كتاب أبي قلمون . في الجدول الذي ذكر فيه صاحب الفهرست مؤلفات جابر يذكر كتاب بعنوان « كتاب الى قلمون »  
وقد ترجم برتيليو اسم هذا الكتاب الى الفرنسية فكان عنده  
Livre a Qalamoc ' ( Plus-etre fait-il ) lire Le livre du Cameleon,  
( وكلمة Caméleon معناها الحرباء وبالانجليزية Chameleon أما البحانة  
« فلوجل » فيقرر أن قراءة « الى قلمون » في الفهرست تصحيف أو خطأ في

في النقل ، وإنما تقرأ « أبي قلمون » ويقول « هوليامرد » أن ماقرره « فلوجل » لا يحتمل شكاً . لان كلمة « أبي قلمون » في العربية اسم للحشرة المعروفة في الإنجليزية باسم Jasper وهي حشرة تأكل الذباب . وقد ضرب المثل في العداء بالضب والنون والذباب وأبي قادن

(٣٤) كتاب ال « بدوح » ذكر في الفهرست . ويقول هوليامرد أن برتيلو قد اخطأ في قراءة الاسم اذ قراءة كتاب البدوح al-Badouh من غير أن أن يفسر ماالبدوح هذا . ويقول بأن القراءة الصحيحة هي كتاب أل « بدوح » لان مجموع هذه الاحرف يمثل القيمة العددية ( ٢٤٦٨ ) غير أنى أرجح صحة قراءة برتيلو . فاننا لانزال نرى على بعض الخطابات كلمة « بدوح » وتحتها الرقم ( ٨٦٤٢ ) وهو الاصح لا الرقم ( ٢٤٦٨ ) كما ذكر هوليامرد . وهو طلسم يفيد السرعة والانجاز . ولعله كان يستعمل ، كما قال هوليامرد ، كتعويذة طلسمية تسهل على الوالدات اذا تعسرن في الوضع . والعلامة دي ساسى من هذا الرأى (٣٥) كتاب المجردات . ذكر في الفهرست . وهو بعينه المعروف في اللاتينية باسم Liber denudatorum . ونسب الى الرازى خطأ ( راجع دوزى ) وذكره أيضا بوريلوس .

(٣٦) كتاب التصريف . وهو المعروف في اللاتينية باسم —

Liber mutatorium

(٣٧) كتاب الثلاثين كلمة . معروف في اللاتينية باسم Liber de xxx verbis

(٣٨) كتاب الخمسة عشر . معروف في اللاتينية باسم Liber xv

منه نسخة عربية في مكتبة جامعة ترينتى با كسفورد رقم ٣٦٣ .

(٣٩) كتاب مصححات سقراط . يظن هوليامرد أنه نفس الكتاب

المعروف في العالم اللاتيني باسم : Ad Iandem Socratis dixit Geberis

منه نسخة في مكتبة بودلى رقم ١٤١٦ .

- (٤٥) كتاب السبعين . ذكره برتيليو ووصفه أتم وصف وهو معروف في العالم اللاتيني باسم Liber Lxx في المتحف البريطاني بالمجموعة ١٠٧٦٤ .
- (٤١) كتاب شرح الجسطى . ذكر في الفهرست وترجمه «جيرار الكريغوني» Gerard of Cremona منه مخطوطة بجامعة كوربس كرسى با كسفورد بالمجموعة ٢٣٣ وأخرى بمكتبة بودلى وثالثة بمكتبة جامعة كبرج .
- (٤٢) كتاب الوصية . منه نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة ٧٧٢٢ ومنه ترجمة لاتينية Geberi testamentum في جامعة ترينتى بكبرج ( مجموعة ٩٢٥ و ١٣٨ ) وقد طبعت هذه الترجمة عدة طبعات .
- (٤٣) كتاب الملاغم . ذكر في رتبة الحاكم . أما الملاغم في الكيمياء فيراد بها خايط من معدن وزئبق . وفي المعادن ، الملغى معدن يكون على هيئة بللورات أو كتل كبيرة أو نصف سائل أبيض اللون فضيه . اذا قسم أو قطع أحدث صرياً . وهو مؤلف من فضة وزئبق . أما ملغم الذهب فهو حصى معدنية صغيرة الحجم كالخص بيضاء اللون حبيبية القوام سهلة التفتت . وقد تكون على هيئة موشورات بيضاء ضاربة الى الاصفرار ثلثها ذهب وثلثها زئبق .
- (٤٤) كتاب الخالص . يقول هوفر (Hoefler) في كتابه « تاريخ الكيمياء » أن كتاب الخالص هو الاصل الذي أخذ عنه الكتاب المعروف في العالم اللاتيني باسم Summa perfectionis غير أنه لم يؤيد قوله هذا ببرهان .

\*  
\*  
\*

- (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي اما موجودة أو معروفة بالاسم فقط
- (٤٦) كتاب صندوق الحكمة .
- (٤٧) كتاب اخراج مافى القوة الى الفعل .
- (٤٨) كتاب الحدود . منه نسخة بمكتبة القاهرة .
- (٤٩) كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار . منه نسخة بالمتحف

البريطاني في المجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥٤ وأخرى بمكتبة القاهرة . وطبعه في لوندرا  
مصحوبا بترجمة انجليزية الاستاذ ستيل ( R.Stule ) سنة ١٨٩٢ ونشره  
لوزاك Luzae & Co.

(٥٠) رسالة في الكيمياء . منها نسخة بمكتبة القاهرة .

(٥١) كتاب في علم الصنعة الآهية والحكمة الفلسفية . من نسخة  
بمكتبة القاهرة .

(٥٢) كتاب خواص إكسير الذهب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس  
بالمجموع ٢٦٢٥ رقم ٦ . وترجمه الى الانجليزية الملامة هوليارد ونشر بمجلة  
( Science progress ) سنة ١٩٢٢ ص ٢٥٨ حيث ذكر خطأ أنه رسالة من  
كتاب الخواص المار ذكره .

(٥٣) كتاب المقابلة والمائلة . بمكتبة برلين رقم ٤١٧٧ قسم عربي .

(٥٤) كتاب الرحمة . طبعه برتيلو عن نسخة مخطوطة بمكتبة ليدن رقم  
٤٤٠ قسم عربي . أما الاستاذ هوليارد فيقول إن هذا الكتاب من تأليف أبي  
عبد الله محمد بن يحيى ذكر فيه كثيراً من المقطوعات عن جابر . ودليله على هذا  
أن مؤلفه ذكر اسم نفسه في أكثر من موضع من الكتاب .

(٥٥) كتاب الرحمة الصغير . طبعه برتيلو ومنه نسخة في المكتبة الاهلية  
بباريس رقم ٢٦٠٥ ، ونقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(٥٦) كتاب التجميع . طبعه برتيلو عن نسخة في مكتبة ليون رقم ٤٤٠  
قسم عربي .

(٥٧) كتاب التجريد . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .  
وذكر جابر أنه ألف هذا الكتاب بعد ١١٢ مؤلف له وأنه يؤلف حلقة من  
سلسلة كتبه في الميزان .

(٥٨) كتاب السهل . منه نسخة بالمتحف البريطاني رقم ٧٧٢٢ .

(٥٩) كتاب الضافي . منه نسخة بالمتحف البريطاني رقم ٧٧٢٢ .

(٦٠) كتاب الاحراق .

(٦١) كتاب التخايص .

(٦٢) كتاب الابدال .

(٦٣) كتاب زهر الرياض .

هذه الكتب الاربعة الاخيرة ذكرها الجلدق .

(٦٤) كتاب الاصول . في المتحف البريطاني بالمجموعة ٢٣٤١٨ رقم ١٣

وذكر بوريلوس أنه ترجم الى اللاتينية تحت عنوان Liber Radicum .

(٦٥) كتاب مهج النفوس . ذكره الجلدق في الجزء الثاني من نهاية الطلب

(٦٦) كتاب شرح كتاب الرحمة . ذكره الجلدق في الجزء الثاني من

نهاية الطلب .

(٦٧) كتاب العفوف . ذكره الطغرائي . وبالمتحف البريطاني نسخة رقم ٨٢٢٩

(٦٨) كتاب الراحة . ذكره الطغرائي .

(٦٩) كتاب السر المكتوم : ذكره الطغرائي

(٧٠) كتاب العوالم . ذكره الطغرائي . وكذلك ذكر برتياو مؤلفاً بهذا

العنوان في الطبعة التي أخرجها الكتاب الموازين . ومن هذا الكتاب نسخة في

المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٧١) كتاب الذهب

(٧٢) كتاب الفضة

(٧٣) كتاب النحاس

(٧٤) كتاب الحديد

(٧٥) كتاب الاسرب

(٧٦) كتاب التصدير أو القالي .

ومن هذه الكتب الستة نسخ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .  
 (٧٧) كتاب انخارصيني أو انخارالصيني . وانخارالصيني معدن سمي في  
 اللاتينية (katesim) ويرجح أنه تركيب من الزنك والحديد . ويقول دوزي أنه  
 اسم صرف على الزنك وحده . ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦  
 (٧٨) كتاب الايجاز .

(٧٩) كتاب الحروف .

(٨٠) كتاب الكبير .

ومن هذه الكتب الثلاثة نسخ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .  
 (٨١) كتاب نار الحجر . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦

وطبعه برتيلو عن نسخة بمكتبة ليون رقم ٤٤٠ .

\*

\* \*

(د) كتب لم تعرف الا عناوينها .

(٨٢) كتاب الاربعة .

(٨٣) كتاب التصعيد .

(٨٤) كتاب الاطيان .

(٨٥) كتاب التنقية .

وهذه الكتب الاربعة ذكرها الجلد في بلا تعليق في نهاية الطلب .

(٨٦) كتاب التنزيل .

(٨٧) كتاب المنتهى

ذكرهما جابر نفسه في كتاب الخواص

(٨٨) كتاب الحسين . ذكره جابر في كتاب الزئبق الغربي .

(٨٩) كتاب الأدلة . ذكره جابر في كتاب الموازين .

(٩٠) كتاب صفة الكون . ذكره جابر في كتاب الرحمة الصغير .

(٩١) كتاب تدبير الحكماء . ذكره جابر في كتاب الموازين .

(٩٢) كتاب السموم .

ولقد اضطررت هنا إلى ذكر كتاب السموم بين كتب جابر التي لم تعرف إلا عناوينها مجازاة للرأي الشائع في أوروبا في حين أن هذا غير صحيح كما سيبين بعد .

\* \* \*

### ٤ - كتاب السموم

من أشهر مؤلفات جابر بن حيان كتاب السموم . لأن السموم في الكيمياء وفي المادة الطبية - *Materia Medica* من أشد الأشياء علاقة بعلم الطب . غير أن الظاهر أن أكثر الباحثين من المستشرقين ، ومن بينهم فئة من مثل الاستاذ روسكا وهو ليمارد وده ساسي لم يعثروا على نسخة من كتاب السموم . غير أني عثرت في المقتطف على مقالة نشرت بالمجلد ٥٨ ص ٤٠ و ٤١ على شيء عن كتاب السموم نجتزئ منه مما يأتي إماما لفائدة البحث :

« وجابر بن حيان كتاب اسمه السموم ، منه نسخة بال مكتبة التيمورية بمصر يقال فيها إن مؤلف الكتاب هو أبي موسى جابر بن حيان الصوفي تلميذ جعفر انصديق ، وأن هذه النسخة نسخت بشيراز سنة ثلاث وخمسة خراجية . وإذا ثبتت نسبة هذا الكتاب إلى جابر بن حيان فهو إذاً أقدم الكتب العربية التي وصلت إلينا ، لأن جابر توفي سنة ١٦٠ للهجرة على ما ذكره حجي خليفة في كشف الظنون وذلك يطابق سنة ٧٧٦ ميلادية . وفي رواية أخرى أن جابراً كان تلميذاً لخالد بن يزيد وهذا توفي سنة ٨٥ للهجرة . وقد تضاربت الأقوال في مسقط رأسه ، فقيل في طوس وقيل في الكوفة وقيل بجران في القرن الثالث الهجري وإنه كان صابئاً .

« وهذه النسخة مبدوعة بالبسملة ولكنها خلو من الحمدلة والصلاة والتسليم .

وهذا يدل على أنه كان صابئياً ولعل البسملة زيادة من النساخ . »

« والكتاب ينقسم الى ستة فصول . »

« الاول — في اوضاع القوى الأربع وحالها مع الادوية المسهلة والسموم القاتلة وحال تغير الطباع والكيموسات المركبة منها ابدان الحيوانات . والثاني في أسماء السموم ومعرفة الجيد منها والردىء وكمية ما يسقى من كل واحد منها وكيف يسقى وأوجه إيصالها إلى الابدان — والثالث — في ذكر السموم العامة الفعل في سائر الأبدان والتي تخص بعض ابدان الحيوان دون بعض ، والتي تخص بعض الاعضاء من ابدان الحيوانات دون بعض . والرابع — في علامات السموم المستقرة والحوادث العارضة عنها في الأبدان والانذار فيها بالاخلاص والمبادرة إلى علاجه والحكم بالايامى مما لاحيلة فيه . والخامس — السموم المركبة وذكر الحوادث الحادثة عنها — والسادس — في الاحتراس من أخذ السموم قبل أخذها . فاذا أخذت لم تكدر ، وذكر الادوية النافعة في السموم إذا شربت من بعد الاحتراس منها . »

« وقد قسم السموم إلى ثلاثة أنواع حيوانية ونباتية وحجرية ، فمثال الأولى صرار الافاعى ومهارة النمر ولسان السلحفاة وذنب الايل والارنب البحرى والضفدع والذراريج والعقارب والكلب الكلب ، ومثال الثانية البيش وقرون السنبل والأفيون والبنج الاسود والشوكران والشيلم والجوز مائل والكسيرة وبرز قطنونا والقطر والكمأة وصمغ الشذاب والبلاذر والدقلى والخربق والفاح واليبروج وعنب الثعلب والحلتيت . ومثال الثالثة — الزنجار والزئبق والزرنىخ والنورة والزاج والشب والطلق وبرادة الحديد وبرادة الذهب . »

« وقد أكثر المؤلف من ذكر فلاسفة اليونان وأطبائهم كانه اعتمد عليهم ولا سيما في الكلام العلمى عن فعل السموم كقوله قد أطلق بقراط وجالينوس وأندروماخس وسائر أصحاب المهنة الطبية أنه لا شىء فى أجسام الحيوان من الاخلاط أكرم من الدم وأنه قاعدة البدن »



٥ — تلمذته على جعفر الصادق

تقع في أكثر التراجم التي كتبت عن حياة جابر بن حيان على أن تلمذ للامام السادس جعفر الصادق (١) (٨٠ أو ٨١ الى ١٤٧ هـ - ٦٩٩ أو ٧٠٠ الى ٧٦٥ م) وليس في التاريخ الزماني ما يناقض ذلك . فان المرجح أن جابراً قد عاش ما بين سنتي (١١٢ أو ١٢٣ إلى ١٩٥ هـ - ٧٣٠ أو ٧٤٠ إلى ٨١٠ م) (٢) ولكن الشك الكبير يقع في أنه جعفرًا قد اشتغل بالكيمياء .

نترك هذا البحث إماماً لنحقق النظر في مسألة أثار غبارها الاستاذ روسكا (٣) - Ruska - فانه يقول بان المسلمين ينقسمون الى قسمين عظيمين ، الشيعيون والسنيون ، وأن الشيعة غالبهم من الفرس ، ويقدمون علياً بن أبي طالب ، ولهم فيه معتقدات شتى ، وأنهم أكثر نزعة الى الصوفية : أي الباطنية الاسلامية : من نظرائهم الآخرين ، واذ كان جعفر الصادق سليل بيت علي بن أبي طالب ، لذلك يحترمه الشيعيون احتراماً كبيراً ، ويحلونه مكانة عالية من نفوسهم . ولهذا فالاستاذ روسكا يرجح أن يكون جابر ، وهو فارسي ، ولا يبعد أنه كان ذا نزعة

١ — الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب

٢ — راجع تحقيق الاستاذ وهو لياردي مجلة الكيمياء والصناعة — Chemistry & Industry — عددى ١٢٥ و١٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٣ . وذكر حجي خليفة في كشف الظنون أن جابراً توفي سنة ١٨٠ هـ . وهذا مناقض لتحقيق الاستاذ هولنيارد . على أنه في روايه اخرى أنه كان تلميذاً لخالد بن يزيد . وهذا توفي سنة ٨٥ هـ — ٧٠٤ م فالفرق بين وفاة خالد وروايه كشف الظنون عن وفاة جابر ٧٥ سنة قريه . وعلى تحقيق الاستاذ هولنيارد لم يعمر جابر أكثر من ٨٠ عاماً على الأكثر أو ٧٠ عاماً شمسياً ، وهذا يعادل ٨٣ عاماً على الأكثر أو ٧٢ عاماً قريبا . وهذا يوسع مجالاً كبيراً للشك والبحث مما .

١ — لاستاذ روسكا — Prof. Roska في كتابه كيمياء العرب جزء ثان المطبوع في هيدلبرج سنة ١٩٢٤ . Arabische alchimesten. Vol. II. Heidelberg 1924.

صوفيه (١) قد احتك بجعفر الصادق ، وأنه كانت بينهما صلة وصدافة . وهذا القول هو الذي يرجح به الاستاذ روسكا أن علاقة كانت بين جابر وبين جعفر الصادق .

غير أن الاستاذ روسكا لا يقف عند هذا الحد ، بل يذهب بعد هذا الى رأى آخر حيث يحاول أن يثبت أن جعفر لم يشتغل بعلم الكيمياء ، ويريد من جهة أخرى أن يقول بان كتب الكيمياء المنسوبة الى جعفر منتحلة فعلا ، وأنه لم يشتغل بذلك العلم ، ولم يؤلف فيه . وهو يعضى في هذا الرأى مورداً كثيراً من الاسباب التى تجعله على الاستمسك به . غير أننا نورد سببا واحدا من الاسباب التى ذكرها . فهو يقول بانه مما يبعد تصوره أن الاشتغال بعلم الكيمياء ، وإن كان قد انتشر وذاع فى الاسكندرية وبغداد ودمشق ، قد يمتثل أن يكون قد وصل الى المدينة ، حيث كان يعيش جعفر الصادق ، احد أركان الشيعة ، وامام من أمتهما العظام ، وان يكون قد اشتغل عن الدعوة الشيعية بالزئبق والفسفور أو بتعليم أمثال جابر بن حيان طريقة تحويل المعادن بمضها الى بعض . واستنادا على هذا الرأى ، لا يقف عند حد الاعتقاد بان جعفر لم يشتغل بالكيمياء لآخر ، بل يعضى معتقدا بأن كل الكتب المنسوبة الى جابر التى ذكر فيها أن جابرا كان تلميذا لجعفر يجب أن تعتبر مدخولة على جابر ، وأنها من مختلقات العصور التالية لصرها .

على أن فى مذهب الاستاذ روسكا كثيرا فى مواضع الشك وترجيحات لا مرجحات لها . وذلك للاسباب الآتية .

أولا — لم يستدل فى التواريخ الموثوق بها أن جعفر الصادق أمضى كل حياته بالمدينة لم يرجعها .

١ — فى كتاب السموم المخطوط المحفوظ فى المكتبة التيمورية بمصر يذكر ان مؤلفه جابر بن حيان الصوفى « كذا » تلميذ جعفر الصادق . وترجمه القفطى بانه جابر بن حيان الصوفى . راجع تاريخ الحكماء القفطى ص ١١١ طبع مصر .

ثانياً — إن قول الأستاذ روسكا في أنهم لم يعرفوا أن المدينة كانت مركزاً لدراسة علم الكيمياء ، أن كان صحيحاً ، فإن صحته لا تنافي مطلقاً أن يكون الامام جعفر قد درس الكيمياء في مكان آخر .

ثالثاً — إن علم الكيمياء لم ينتشر ويشهر إلا بين أيدي الفارسيين أولاً ، وأنهم كانوا يعكفون على الاشتغال به .

رابعاً — إن الصوفيين غالب ما كانوا يدخلون المصطلحات الكيماوية في اشعارهم الباطنية .

خامساً — ولهذا — تقول بان جعفر اذ كان من عهد الشيعة وأئمتها الكبار واذا كان على اتصال بشيعة فارس ، فلهذا لا يوجد من سبب ظاهر يحول دون الاعتقاد بأنه كان يشتغل بعلم الكيمياء من طريق نظري على الأقل ، ان لم يكن من طريق عملي تجريبي .

سادساً — ان جابراً كان صوفياً كما هو مرجح من مقدمة كتاب السموم الذي ذكر قبلاً ومن ترجمة القفطي له في تاريخ الحكماء .

سابعاً — ان العادة في الطريقة الصوفية أن يتبع كل صوفي منهم شيخاً له ولا يبعد أن يكون جابر قد تلمذ بالفعل على جعفر في الصوفية ، ولا يبعد أن يكون قد سمع منه شيئاً في الكيمياء .

كل هذه الحقائق والاحتمالات لا تدل ، حتى ولو لم يثبت أن جعفر كان مشتغلاً بالكيمياء ، على انبثاق حبل الصلة بين جعفر وجابر ، كما أنه لم يثبت أن جعفر لم يكن عارفاً بمبادئ الكيمياء واغراضها .

على أن القول في ذلك عديدة وجوهه مشعبة نواحية . وقد يحتمل أن يكون رأى الأستاذ روسكا صحيحاً ، وقد يكون هو الواقع ، غير أن البراهين تنقصه .



ليس من شك في أن اسم جابر بن حيان من الاسماء الخالدة في التاريخ .  
وسواء أكان عربيا أم فارسيا ، مسلما أم صابئا ، خراسانيا أم كوفيا ، فانه من  
مفاخر الشرق برمته ، بل من مفاخر الانسانية كلها . لهذا نود في هذه الخاتمة أن  
نذبه بعض الذين ينحون علينا بقولهم اننا نريد أن ننتقص العرب في مدنيتهم  
وعلومهم ، على أن النصفه والاقساط في القول ، لاسيما لدى النظر في مباحث  
التاريخ ، لن تتوافر أسبابهما إلا بتوافر أسباب الاستقلال في الرأي . ولهذا  
نختتم هذا البحث متسائلين كما سأل ارسطوطاليس اخوانه في التلمذة « اذا اختلف  
أفلاطون والحق ، فايهما أولى بالمحبة . » (١)